## من تراب الطريق (٣٠٦) ماذا يقال أو لا يقال في المقال!! (*)

خطير جدًا ومؤسف ، أن تكون الكتابة لمجرد الكتابة أو استعراض الشطارة .. الأزمة الراهنة التى تهدد مصر فى حصتها التى تعتمد عليها حياتها فى مياه النيل ، تقوم على أن ما تجريه دول المنبع وتحاول إجراءه دون التفات لحقوق دول المصب ، يهدد الحياة والزرع والضرع فى كل من مصر والسودان ، فلا بديل لهما عن مياه النيل ، فهو شريان الحياة .. واحتجازه هناك فى الأعالى يهدد الوادى هنا وفى السودان . بينما يبدو الاحتجاز بالسدود هناك محض إيذاء لدولتى المصب .. بلا عائد مضارع لدول المنبع التى تنعم ببدائل نهرية متعددة ، فضلا عن الأمطار التى لا تنقطع هناك طوال العام !

أسوأ ما يمكن أن يقال الآن ، ويفقد مصر حجتها فى حوار الحياة والموت الدائر الآن مع دول المنبع ، أن يقال إن مصر «تبدد» ما يصلها من مياه النيل ، ناهيك أن يقال إن هذه هى القضية .. الغريب أن هذا الادعاء لم يصدر عن دولة من دول المنبع تحاجى به مصر فى دفاعها عن شريان حياتها ، وإنما صدر على غلاف وصفحات مجلة مصرية من الصحف القومية ، حملت فى صدر مانشيتات عددها السبت (١) أغسطس

(*) المال ٥/ ٨/ ٢٠٠٩

(٢٠٠٩)، مانشيت «سِمَّاوى» نصه : «المؤامرة الحقيقية لاحظ : الحقيقية !! على حصتنا فى مياه النيل» !!

فما هى ياترى هذه المؤامرة الحقيقية !!! والتى أمسكت بها المجلة القومية ؟!

قد يظن القارئ إذا لم يفتح المجلة ، أنها مؤامرة بين دولة أو أكثر من دول المنبع ، تآمرت مع قوى شريرة تستهدف مصر وأمنها بل وحياتها .. هذا هو المعنى اللفظى لكلمة «المؤامرة» : «هى إذن لا بد أن تكون مؤامرة» خارجية ضد مصر وشعبها وحقوقها وحياتها !

إلا أن القارئ لا يكاد يفتح المجلة حتى يجد المانشيت سالف البيان مكررا فى كل صفحة من الصفحات ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ يزين مقالا مطولا تحت هذا العنوان لرئيس التحرير ، يكفى أن تطل على عناوينه الداخلية ، لترى هل هذا كلام يقال أو لا يقال فى المقام الذى نحن فيه الآن ؟! .. تقول العناوين المليئة بالتشاطر فى غير موضعه :

- «أيهم الأخطر على أمننا القومى : الحالمون ببناء السدود فى دول أخرى .. أم زارعو الأرز وحافرو الآبار فى أراضى وضع اليد وملوثو النيل بمياه الصرف الصناعى» ؟!
- «قبل أن نقلق من حرب لا تلوح احتمالاتها فى أى أفق .. علينا أن نتوتر مما نفعله بحصتنا فى مياه النيل .. نحن نروى الأرض بالغمر ونعيش بالغمر .. صدق أو لاتصدق.. بالساعة» !
- «نسمع صرخات من مزارعين يشكون من تضييق وزارة الرى

فى نوبات المياه .. ولكننا لم نعرف أىَ خبر عن زرع مات بسبب العطش ..مما يعنى أن الحصص المطلوبة لا ضرورة لها»!

- «زارعو الأسماك يربحون الألوف سنويا .. لكنهم يهدرون ألوفا من أمتار المياه على كل فدان .. ويعطلون مسارات المياه .. ويعرقلون طلمبات الصرف وليسوا مستعدين للتخلى عن كارثتهـــم ( مزارعهم السمكية )» !
- «مصدرو الأرز يمكنهم أن يبيعوا الكيلو فى مصر بقرش صاغ .. مقابل تصديره بملايين الدولارات إلى آسيا .. وفى الطريق يهدرون مليارات من ثروتنا المائية .. تأكل منها الشعوب الصفراء « !
- «كل يوم تلقى محطة أبو رواش مليونا وربع المليون متر مكعب من مياه الصرف الصحى فى فرع رشيد .. و١٠٢ منشأة صناعية على الأقل تلفظ إخراجاتها فى عرض النيل على مدار الساعة» !
- «٤٠ ألف حالة تعدى على النيل .. و٢٣ ألف بئر مياه جوفية غير مرخصة .. وأعضاء مجلس الشعب يقاومون أى قرار حكومى يمكن أن يؤدى إلى حماية حصتنا من المياه» !

***

فماذا بعد ؟!

هل أعظم من ذلك هدية يمكن أن تقدم لدول المنبع الآن !! فى الحوار الضروس الدائر بينها وبين مصر ؟! ألا يعطى هذا الكلام الآن !

ذريعة لدول المنبع للتغوّل على الحقوق المصرية مادامت مصر تفرط هذا التفريط الهائل فى مياهها بشهادة شاهد من أهلها أو رئيس من رؤساء تحرير صحفها ؟!

هل مجاله الآن فتح مسألة ترشيد المياه ، وبهذا الشكل ، وبهذه المبالغات ، لنقوض بتشاطرنا ما يبنيه المدافعون عن حقوق مصر ، ونعطى بأيدينا ما يشجع الآخرين ويقويهم على اغتيال حقوقنا ؟!

هل تاهت البوصلة حتى لم نعد نعرف ما يقال ومتى ، وما لا يقال ؟! .. هل ميزنا بين ما لا يقال إلاّ فى الأروقة فـى الداخل ، وبين ما يُصدَّر ليتلقفه الآخرون لمحاجاة مصر فى حقوقها بل مصيرهـا وحياتها ؟! .. هل عرفنا القاعدة التى تلقيناها فى مدارس العلم أن الكلام ينبغى أن يوافق مقتضى الحال ؟! لنعرف أن هذا الكلام الذى طالعناه بالمجلة القومية (؟!) لا ينبغى ولا يجوز أن يقال الآن ! فى مقال يقدم هدية مجانية لمن ينازعون مصر فى حقوقها وحياتها !!!

*****